اسم المادة: القدوس - القدير - القريب - القهار

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

اسم المادة: القدوس – القدير – القريب – القهار
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

القدوس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لما رجع الصحابة –رضي الله عنهم– إلى المدينة ممن هاجر إلى الحبشة، قال لهم النبي –صلى الله عليه وسلم– ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة، قال فتيةٌ منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوسٌ ذات يوم، إذ مرت بنا عجوزٌ من عجائز رهبانهم، تحمل على رأسها قلةً، إذ مرت بِفَتَىً منهم، فجعل يديه بين كتفيها، ثم دفعها، فخرت على ركبتيها، وانكسرت القلة، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت له: أي غُدَر سوف تعلم إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– "صدقت صدقت، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم". أخرجه ابن ماجه وحسنه الألباني.

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" الجمعة:١

اسم الله –سبحانه وتعالى– القدوس جاء في موضعين في القرآن الكريم:

أحدهما في ختام سورة الحشر وسط ذاك السرد العجيب البديع من أسماء الله الحسنى: "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" سورة الحشر:٢٣.

وأما الموضع الثاني ففي مطلع سورة الجمعة في قول الله –تعالى–: "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" سورة الجمعة:١

لقد امتثل النبي –عليه الصلاة والسلام–، لقد عاش النبي –صلى الله عليه وسلم– معنى التسبيح لله باسمه القدوس –سبحانه وتعالى–، فقد كان يسبح عقب وتره –صلى الله عليه وسلم– يقول: "سبحان الملك القدوس" كما في حديث أبي بن كعب –رضي الله عنه–. وعن عائشة –رضي الله عنها– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يقول في ركوعه وسجوده: "سبوحٌ قدوس رب الملائكة والروح"[1].

القدْس بسكون الدال، وبضمها القدُس بمعنى: الطُهر لغةً، وتقدس: أي تطهر، والتقديس: بمعنى التطهير.

---

[1] صحيح مسلم

إن اسم القدوس لله –سبحانه وتعالى–، يعني المحمود المنزه عن النقائص والمعايب، وعن كل ما لا يليق به –جل جلاله–، له منتهى أكمل الكمالات في الطهارة وصفًا وَمَعْنَىً وملكا.

له أكمل الكمالات ومنتهاها –سبحانه–، في البركة والخير من كل وجوهها فسبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح.

سُبوحٌ قُدوس بالضم فيهما أو سَبُّوح قَدُّوسٌ بالفتح فيهما جائزان صحيحان في تنزيه ربنا –جل جلاله– بهاتين الكلمتين الطيبتين، إن اسم الله –سبحانه وتعالى– القدوس الذي يعني أنه المنزه –سبحانه وتعالى– تمام التنزيه، عن كل ما يقوله المبطلون ويصفه به الجاهلون.

ولنعيش هذا المعنى في حياتنا عباد الرحمن علينا أن ننزه الله –عز وجل– تمام التنزيه، فإن ربنا قدوسٌ –سبحانه–، له أوصاف الجلال والكمال والجمال –جل في علاه–، منزهٌ عن كل افتراضات العقول وأوهام الخيال، منزهٌ –سبحانه– عن كل افتراضٍ وتصورٍ قاصرٍ تعيشه عقول البشر، ينزه –سبحانه– أن يُشَبَّه في شيءٍ من أسمائه أو صفاته أو أقواله أو أفعاله بشيءٍ من خلقه لأنه منزهٌ عن موجبات الحدث وصفات المخلوقين، "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الشورى ١١.

ربنا قدوسٌ –سبحانه وتعالى– تنزه وتعالى وتقدس –جل جلاله– عن كل ما لا يليق به –سبحانه وتعالى–.

تعيش القلوب هذا المعنى العظيم والتقديس لربنا القدوس –سبحانه– حتى تتطهر قلوب أهل الإيمان بطهارة إيمانها بالله –جل جلاله–، فإذا طهرت وتقدست النفوس حق لها أن يكون لها من خير الله ونعيمه وبركته ما تنتظره في الدنيا قبل حلولها في دار الكرامة في الآخرة.

ومن لطيف قول ابن القيم –رحمه الله تعالى–: أن الله قدوسٌ تنزه –سبحانه– فلا يجاوره في جنته إلا من طاب وتطهر بإيمانه وعمله الصالح.

فسبحان الملك القدوس ربنا ورب الملائكة والروح –سبحانه– من إله عظيم. لا يحصي أحدٌ من الخلق ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه والحمد لله رب العالمين.

القدير

أسعد الله أوقاتكم بالمسرات.

حكى القرآن لنا قصةً عجيبةً في شأن الرجل الذي مر على قريةٍ وهي خاويةٌ على عروشها، "قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ –لم يتغير– وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" البقرة:٢٥٩

أعقبتها تماماً قصة إبراهيم –عليه السلام–: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" البقرة:٢٦٠، إنه الله القدير –سبحانه وتعالى–.

"أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا" فاطر٤٤.

من أسماء الله –تعالى–: القادر والقدير والمقتدر، وثلاثتها وردت في القرآن الكريم وتشترك في أنها تحمل صفة القدرة لله –سبحانه وتعالى–، على تفاوتٍ بينها في قوة اختصاصها بمعنى دون بعضها.

فاسمُ المقتدر في قوله –تعالى–: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ" القمر٥٤:٥٥.

واسم القادر، مثل في قوله –تعالى–: "أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ" القيامة:٤٠

ومثل قوله: "قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ" الأنعام:٦٥

أما اسم القدير فهو أكثرها وقوعًا في القرآن، وقع في نحوٍ من خمسٍ وأربعين مرةً، وهو بهذا في عداد الأسماء الحسنى الأكثر ورودًا في القرآن الكريم، "إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" كثيرةٌ جداً في كتاب الله الكريم، إنها تثبت صفة القدرة التامة لله، فقدير صيغة مبالغة، أي أن الله –سبحانه وتعالى– بالغ القدرة في كمالها وتمامها. فهو –سبحانه وتعالى– بقدرته خلق الخلق من عدم وأوجد الموجودات، وبقدرته –سبحانه– دبرها، وبقدرته –تبارك وتعالى– رتب أمرها وأكملها وأحسن خلقه، وبقدرته –جل في علاه– يميتها ويحييها.

بقدرته يبعث العباد يوم المعاد، فيجازي كل عاملٍ بما عمل، يجازي الذين أحسنوا بالحسنى، ويجازي الذين أساءوا أيضًا بسيئات أعمالهم.

ربنا قدير، "أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" يس:٨٢.

هي القدرة التي تملأ نفوس العباد إيمانا بربٍّ قديرٍ لا يُعجزه شيء.

بربٍ قديرٍ على كل شيء، قدرته تشمل ما يقوى عليه العبد وما يعجز عنه، لأن الرب –سبحانه– تفرد بهذا المعنى العظيم، والله على كل شيءٍ قدير.

في دعاء الاستخارة، علمنا النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الدعاء العظيم، يقول فيه العبد بعدما يصلي ركعتين من غير الفريضة: "اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب، اللهم إن

كنت تعلم أن هذا الأمر ويسميه خيرٌ لي في عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي، وإن كنت تعلم أنه شرٌّ لي في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به"[٢].

علمنا النبي –عليه الصلاة والسلام– كيف نجعل من هذا الاسم الكريم القدير، القادر، كيف نجعل منه ثِقلًا في النفوس، نركن إليه، وركنًا شديدًا نأوي إليه، وتوسلًا عجيبًا نتوسل إلى ربنا –سبحانه وتعالى– به. فنسأله باسمه القدير فنملأ نفوسنا الضعيفة قوة، لأن لنا رباً قديراً أي والله يا كرام.

لا ينبغي لعبدٍ مؤمنٍ أن يذل ويخضع لقوي وله ربٌّ قويٌّ قادرٌ قاهرٌ –سبحانه–، وهو على كل شيءٍ قدير.

هكذا هو اسم القدير، يا عبد القدير، ويا أمة القدير، هكذا يضفي هذا الاسم الكريم، على النفوس المؤمنة ثقلًا، تثبت به أقدامها فلا تتزعزع، ولا تنحني ولا تركع إلا لربها القادر –سبحانه–، وما حولها من قوى البشر فإنما هي محدودةٌ عاجزةٌ في الحقيقة.

بمثل هذا المعنى يا كرام تستنصر أمة الإسلام في مواقف الذل والهوان، في مواقف الضعف والاضطهاد، وهي تعلم أن من سنن الله –تعالى– أن تدال الأمور تارةً فتكون لها مرةً وعليها مرة، والله –عز وجل– قد أخبرنا في القرآن بمثل هذا المعنى لئلا تنكسـر نفوس أهل الإيمان، لئلا يحيط بها الجزع والوهن واليأس والإحباط، وأن تبقى مهما بقي فيها بصـيصٌ من أمل وذرةٌ من إيمان أن تبقى مرتكنةً إلى ربها القوي القادر –سبحانه وتعالى–.

واسمعوا إلى كلام ربكم كما في ختام سورة فاطر: "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا" فاطر٤٤.

[٢] أخرجه البخاري

القريب

السلام عليكم ورحمة الله، وحي هَلًا بكم.

في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– قال: لما غزا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خيبر، أو قال لما توجه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أيُّها الناسُ أرْبَعوا على أنفسِكم فإنكم لا تَدْعونَ أَصَمَّ ولا غائبًا ولكِنَّكم تَدْعونَ سميعًا قريبًا"، قال أبو موسى –رضي الله عنه– وكنت خلف النبي –صلى الله عليه وسلم– فجعلت أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: يا عبد الله بن قيس، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ألا أدلك على كلمةٍ من كنز من كنوز الجنة، قلت: بلى فداك أبي وأمي يا رسول الله، قال –عليه الصلاة والسلام– "لا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ، فإنَّهَا كَنْزٌ مِن كُنُوزِ الجَنَّةِ"[٣]

يقول الله –سبحانه وتعالى–: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" البقرة:١٨٦.

هذا أحد المواضع الثلاثة التي ورد فيها اسم الله القريب –سبحانه وتعالى– في القرآن الكريم.

وأما الثاني ففي قوله –عز اسمه– على لسان نبي الله صالح –عليه السلام– يخاطب قومه: "فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ" هود:٦١.

وأما الثالث ففي ختام سورة سبأ: "قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ" سبأ:٥٠.

ربنا القريب –سبحانه وتعالى– اسم يتضمن صفة القرب له –جل جلاله– من عباده، وقربه من عباده –سبحانه وتعالى–، قرب علمٍ وإحاطة، فهو يسمع ويبصر ويعلم ما يعمله الخلق ويفعلون، هذا القرب من الله –جل جلاله– ينبئ عن عظمةٍ للخالق –سبحانه وتعالى–، وهو في مثل قوله –تعالى–: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" ق:١٦.

إن القرب الآخر من الله –جل جلاله– هو قربٌ لفئةٍ من عباده من أهل الإيمان، وقرب نصرةٍ وتأييدٍ وعونٍ وتوفيق، قُرب حفظٍ من الله –سبحانه وتعالى– لمن شاء، من أهل دينه وعباده المؤمنين، وفي مثل ذلك يأتي قول الله –سبحانه وتعالى–: "فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ" البقرة:١٨٦، قريبٌ ربنا من عباده المؤمنين بالنصر والتأييد وكذلك كان حال الأنبياء والرسل –عليهم السلام–، "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا" الأنعام:٣٤.

وربنا قريب من دعاء من دعاه: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"، ربنا –سبحانه وتعالى– قريبٌ من توبة التائب والمنكسر، من عبادة الطائع، من استغفار المستغفر، ربنا قريبٌ –سبحانه وتعالى–، فسبحان القريب، القريب في علوه، العظيم في دنوه –جل جلاله، وتبارك اسمه–.

من لطيف ما ذكره بعض أهل العلم في قول ربنا –سبحانه–: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ" أن الله –جل جلاله– لم يقل وإذا سألك عبادي عني فقل إني قريب، بل كان الجواب مباشرةً للعباد السائلين، "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"، لأنه قريبٌ –سبحانه وتعالى–، لقد عاش نبي الله يونس –عليه السلام– إيمانه بهذا المعنى من قرب ربه –عز وجل–، فدعا وسبح وهو هناك في بطن الحوت في أعماق البحار نادي في الظلمات: "أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ*فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ

٣ روايات الحديث هنا

نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ" الأنبياء:٨٧، إن القريب قريبٌ -سبحانه وتعالى-، قريبٌ من عباده إذا استشعر العبد معنى القرب، وقر في قلبه أن الله -عز وجل- قريبٌ منه، فكيف بالقريب -سبحانه- عندما يكون المقام أشد قربًا، في الحديث: "أقربُ مَا يَكونُ العبْدُ مِن ربّهِ وَهَو ساجدٌ"[٤].

فماذا فاعلٌ أنت عبد الله في قربك في السجود من ربك القريب -سبحانه وتعالى-، قال -عليه الصلاة والسلام-: فأكثروا فيه من الدعاء.

وفي الحديث أيضا في الصحيحين: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر"، هذا ربنا القريب -سبحانه وتعالى-، حقًا علينا معشر العباد، ونحن نؤمن بقرب ربنا القريب -سبحانه وتعالى-، أن تنتهض النفوس، وأن تتقرب إليه -جل جلاله-، والله يقول: "ومن تقرَّبَ منِّي شبرًا تقرَّبتُ منهُ ذراعًا ومن تقرَّبَ منِّي ذراعًا تقرَّبتُ منهُ باعًا"[٥].

يا كرام، ربنا قريبٌ -سبحانه-، فلا يليق بالعبد الصالح الفطن المحب لربه إلا أن يزداد قربًا من ربه القريب، تقربوا إلى الله بما استطعتم، واعلموا أنكم لن تتقربوا إليه بشيءٍ أحب إليه -سبحانه- مما افترض علينا من العبادات، ولا يزال أحدنا يتقرب إلى ربنا القريب -سبحانه- بالنوافل حتى يحبه الله -جل جلاله- كما ثبت في الحديث القدسي.

أيا كرام إن إيماننا بقرب ربنا القريب -سبحانه-، يبعث في النفس توازنًا، توازنًا بين خوفٍ نشعر فيه بقرب ربنا المطلع على أحوالنا وخفايانا، ما في السرائر وما تكنه الضمائر، فنصحح من شأننا ما استطعنا، وبين حالٍ نجد فيه أنفسنا منقادين حبًا وشوقًا، طمأنينةً وثقةً بأن ربنا القريب قريب يحوطنا يحفظنا ينصرنا يستجيب دعاءنا، فتقربوا تقربوا إلى الرب القريب -جل في علاه-.

---

٤ رواه مسلم

٥ صحيح مسلم

القهار

أهلا وسهلاً بكم، حياكم الله.

لما قدم أبرهة بجنده وجيشه وخيلته يشق الأرض، لا يقابله شيءٌ ويهابه كل شيء، يريد هدم الكعبة بطرًا وعتوًا، لم يكن عزيزًا على الله أن يهلكه بأكثر من: "... طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ" الفيل٣:٥.

وكذلك الطغاة والعتاة على مر التاريخ، كذبت عادٌ واستكبرت، "وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً" فصلت:١٥، وثمود الذين كانوا ينحتون ".. مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ" الشعراء:١٤٩، وقد أوتوا من القوة وأسبابها ما حكى القرآن، وأما فرعون الذي بلغ بعتوه وكبريائه أن قال أنا ربكم الأعلى، لما قال الملأ من قوم فرعون "أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ –المتكبر– سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ" الأعراف:١٢٧، زال العتاة وباد الطغاة، وبقي قول ربنا –سبحانه وتعالى– الله الواحد القهار.

"يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" غافر١٦:١٧.

في ست آيات من القرآن الكريم جاء اسم ربنا القهار –سبحانه وتعالى–، في مثل قوله –عز وجل–: "لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" غافر:١٦، وقوله –سبحانه–: "قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" الرعد:١٦.

وأما اسم القاهر –جل وعلا–، فقد وقع مرتين في سورة الأنعام في قوله –تعالى–: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ" الأنعام:١٨.

وقوله –سبحانه–: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ" الأنعام:٦١.

الله القاهر، والقاهر اسم فاعلٍ من القهر، وهو الغلبة والنصرة والعلو على الغير مع تمام القوة والسلطة، والقهار صيغة مبالغة، فربنا –عز وجل– قد نفذ أمره في جميع خلقه وكل خلقه بلا استثناء، مقهورٌ تحت سلطانه وتدبيره، وأمره، لأنه الواحد القهار –سبحانه وتعالى–.

في الحديث الصحيح: أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– كان إذا تَضَوَّرَ منَ الليلِ –يعني تقلب على فراشه لم يأته النوم– "كان إذا تَضَوَّرَ منَ الليلِ، قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ الواحدُ القهارُ، ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما العزيزُ الغَفَّارُ"[٦].

حتى على الفراش كان ينبض قلب المصطفى –صلى الله عليه وسلم– ويخفق عبوديةً لله، تذللًا إخباتًا استشعارًا لمعاني أسمائه الحسنى وصفاته العلا، يُدوي بها بينه وبين نفسه على فراشه، يعلن فيها توحيده لله الموصوف بالوحدانية الموصوف بالقهر –سبحانه–، الموصوف بالربوبية والعزة والمغفرة، ما أطيبها من حياة استشعارًا بأن ربنا القاهر –سبحانه– جعل عباده كلهم تحت قهره، فأمره نافذٌ فيهم، وتدبيره أيضا لا خيار لهم فيه، ينفُذ أمره وحكمه –سبحانه– في خلقه طوعاً وكرها.

قهر عباده حتى بالموت، فكلهم مقهور، فأقوى الأقوياء وأعتى العُتاة وأكثر الأباطرة طغيانًا على وجه الأرض، فإنه يومًا ما سيذبل وينتهي ومآله إلى زوالٍ وفناء، وصدق الله: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ" الأنعام:١٨.

قال الإمام الخطابي –رحمه الله–: القاهر الذي قهر عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر جميع خلقه بالموت.

[٦] صححه الألباني

قهرُ الله لخلقه نوعان:

عام: بالموت ونفوذ الأمر الذي لا مرد لِأَحَدٍ من الخلق عنه فكلهم مقهورٌ لله بهذا المعنى.

وأما الخاص: فالذي ينزل بأرباب العتو والطغيان والعلو والاستبداد الذي يأباه الله بين العباد، فتنزل عقوبة القاهر القهار –جل جلاله– لتجعل للطغاة حدًا، ولبغيهم بين العباد أَجَلًا محتمًا.

إن امتلاء القلب –أمة الإسلام– بصفة القهر التي يتصف بها ربنا القهار –سبحانه–، ونتعبد لله –جل جلاله– باسمه القهار واسمه القاهر لَيَزرع في النفس معاني عظيمة، تنشئ صفتين كريمتين تحتاجهما النفوس المؤمنة:

إحداهما تمام الذل والانقياد والخضوع، لأن لها ربًا قاهرًا –سبحانه وتعالى–.

وأما الأخرى فهي أن تحمل النفوس على أن تنأى عن الاستبداد والعلو والطغيان، وذلك القهر المذموم في العباد، لأنها متى علمت أن القهر لا ينبغي إلا لله صفة مدحٍ وكمال، فإنها تتنزه عنه، لأن قهر البشر إنما يقترن دومًا بالطغيان والعلو والاستبداد، والله قد قال في كتابه الكريم: "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" القصص:٨٣.

أما أن جزءً من معاني إيماننا بالله القهار –سبحانه–، وامتلاء القلوب بهذا المعنى العظيم لربنا القاهر –تبارك وتعالى– يعطينا قوة وثباتا، مهما تلاطمت بنا أمواج الحياة، واستبد ببعض جوانب حياتنا أصناف الطغاة، وتجرأوا على الحرمات، وتجاوزوا الحدود في تعاملهم مع العباد، فإن لنا ربًا كريمًا إذا ارتفعت له الأيادي، وتعلقت به القلوب وناجته الضمائر، مؤمنةً موقنةً مستنزلةً نصرها، طالبةً حقها من ربٍّ كريمٍ تؤمن بأنه عظيمٌ قادر، بأنه قويٌّ قاهر، والله إنَّ الأرض لتتزلزل، وإنَّ الجبال تُدَّك إذا تنزل نصر الله نصرًا للضعفة وأخذًا لحقوقهم، وعقوبةً للطغاة المستبدين، واقرأوا التاريخ، فكم بادت الأمم وتعاقب الطغاة المعاندون، المكذبون لله، المحادُّون لدينه، المحاربون لرسله وأوليائه، فأين هم؟ بادوا وزالوا، وبقيت آثارهم تبقى عظةً وعبرةً وآية يستلهم منها البشر الدروس والعبر والعظات، ويبقى هذا اليقين بأن ربنا هو الواحد القهار.